خطبة بعنوان (الخيرات في اغتنام مواسم الطاعات)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم أما بعد....

فمن فضل الله تعالي على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، وترفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من المعاصي والسيئات، فالسعيد من اغتنم هذه الأوقات وتعرض لهذه النفحات.

جاء في الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا عن النبي ρ أنه قال: " اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، فاسألوا الله أن يستر عوراتكم ويُؤمّن روعاتكم."

وفي رواية الطبراني أن النبي ρ قال: " إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً."

وإن من أعظم نفحات أمة سيدنا محمدρ (عشر ذي الحجة) التي سنستقبلها بعد قليل إن شاء الله، هذه الأيام مواسم للخيرات والطاعات التي أكرمنا بها رب الأرض والسماوات، وقد جاء فيها حديث البخاري عن ابن عباس τ، قال رسول الله ρ: " ما مِن أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيها أحبُّ إلى اللَّهِ من هذِهِ الأيَّام يعني أيَّامَ العشرِ ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ ؟ قالَ : ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ ، إلَّا رَجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ ، فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ".

ومن فضائل هذه الأيام :-

1- أن الله تعالى أقسم بها:-

وإذا أقسم الله بشيء دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال تعالى: { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ }، والليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين.

2- شهادة رسول الله ρ لها بأنها أفضل أيام الدنيا:-

فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أفضل أيام الدنيا أيام العشر – يعني عشر ذي الحجة – قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب" رواه البزار بسند حسن.

3- اجتماع أمهات العبادة فيها: -

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة؛ لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتَّى ذلك في غيرها."

وقال الإمام أبو حنيفة: جعلت أفاضل بين العبادات؛ كلما تتبعت عبادة وجدت لها أفضلية؛ فأقول: هي الأفضل؛ فلما تتبعت الحج وجدته أفضلهم لاشتماله على جميع العبادات كلها.

كيف نستقبل هذه الأيام؟

1-التوبة الصادقة:-

فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور:31].

2-إصلاح ذات البين:-

فعلى كل مسلم متخاصم أو متشاحن مع أخيه المسلم؛ أن يبادر بإصلاح ذات البين حتى ترفع الأعمال؛ لذلك أخبرنا النبي ρ في أحاديث كثيرة أن الشحناء والبغضاء والخصام سبب لمنع المغفرة والرحمات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ:" تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ". (مسلم)

3- البعد عن المعاصي :-

فكما أن الطاعات من أسباب القرب من الله تعالى؛ فالمعاصي سبب البعد والطرد، ولنحذر أن نكون ممن جاء فيهم قوله ρ :أتدرون ما المفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: إنَّ المفلسَ من أمَّتي، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا. فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه. فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يقضيَ ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه ثمَّ طُرِح في النَّارِ)[رواه مسلم]

4- التكبير والتحميد والتهليل والذكر والمحافظة على الصلاة:-

فعن ابن عمر τ عن النبي ρ قال: " ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) [أحمد].

5- صيام التسع ومنها يوم عرفة:-

فالصيام يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، وعليه فيسن للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة، لأن النبي ρحث على العمل الصالح فيها. ويسن صيام يوم عرفة حيث يكفر ذنوب سنتين؛ وفي ذلك يقول ρ" صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ؛ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ."(مسلم).

6- الأضحية:-

وهي من أفضل أعمال يوم النحر ، وهي سنة مؤكدة ؛ بل أوجبها الإمام أبو حنيفة على القادر؛ وهذا كله لفضلها ومكانتها في التراحم والتكافل؛ فعن عائشة قالت : قال رسول الله ρ : " ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فيطيبوا بها نفسا "(أخرجه الحاكم وصححه).

أسأل الله العظيم أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

كتبه فضيلة الشيخ" أحمد يونس عبد الغني، موفد وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.